

# العربية في نصوص الثورة الجزائرية وتطبيقاتها أثناء الكفاح المسلح

أ. محمد الصالح بوسلامت

1. العربية في نصوص ثورة التحرير
2. مساهمة المنظمات الوطنية: - الكشافة - اتحاد الطلاب - النقابة - الأندية الرياضية لإحياء العربية في إطار جبهة التحرير الوطني.
3. دور المحافظ السياسي - خطاب التوعية- التعبئة في إعادة الاعتبار للغة العربية في إطار جبهة التحرير الوطني.
4. تكوين الطلاب الجزائريين (مدنيين عسكريين ) باللغة العربية في البلدان العربية.
5. الإعلام بالعربية أثناء الثورة
6. في الولايات الست التاريخية
7. العربية في الإبداع الفني الأدبي والدراسات التي عرفت بالثورة وتضحيات الشعب الجزائري.

## مقدمة

إن الشعب الجزائري مهما تعاقبت عليه الظروف الاحتلالية الاستدمارية الحالكة، ومهما حاول المستدمرون خلالها أن يعيشوا في الأرض فسادا وفي الشعب تفقيرا وتكديلا وتجهيلا واحتقارا وإذلالا، محاولة منهم أن ينسوه رؤوس نفسه وبين حضارته الحرة الزاهرة وبين لغته العربية التي كانت في أيام العزة والكرامة سيدة الميدان.

إنه ظل مستبسلا ثابتا مستميتا في تشبته بلغته العربية التي يعرف يقينا من أنها مفتاح باب عزته ومصدر قوته ونبع حضارته وإطار حصانته والعروة الوثقى في ربط وحدته وذلك إذا أراد أن يعيش محترما

سيدا بين أمم هذه المعمورة فلغته العربية الأصيلة هي مبعث فخره وقاعدة إزدهاره وعلامة على تطوره في هذه الحياة وهي أيضا حصن مناعته فمنذ عهد الأمير عبد القادر وقبله في العهد الإسلامي الأول والشعب الجزائري قد اختار نهائيا أن تكون اللغة العربية وحدها فارسة الميدان في كل شأن من شؤون حياته فهذا حماد الصنهاجي مؤسس الدولة الحمادية عندما عقد صفقة تجارية مع جنوة الإيطالية قد قيل له بأية لغة يكتب هذا العقد فأجاب: وهل هناك لغة لنا في حياتنا وحضارتنا غير اللغة العربية؟ مع أن حماد هذا كان بربريا أمازيغيا لا يعرف التكلم بالعربية ومع ذلك قد اختار بكل حرية أن يكتب العقد باللغة العربية، وهذا يوسف بن تاشفين مؤسس الدولة المرابطية عند عقد الصلح بين ملوك الطوائف في الأندلس قد كتبه باللغة العربية مع أنه وهو ملكهم جميعا ومن حقه أن يكتب الصلح باللغة التي يختارها هو لا هم لأنه لا يجيد مطلقا التكلم باللغة العربية ومع ذلك قد فضل العربية على الأمازيغية التي هي لغته على عكس أشباه بعض الجزائريين اليوم، فلم يستحوا أن يرفضوا العربية لغة وكتابة وهكذا الأمير عبد القادر ابن محي الدين البطل المجاهد العدو للذود للغزاة الفرنسيين المحتلين قد أعطى للغة العربية الأصيلة بعدا حضاريا وعناية فائقة في أن يجعلها لغة العمل العسكري في تسجيل الآلات والمعدات باللغة العربية ومواصلة الاجتماعات والمداولات واللقاءات بينه وبين قادته ومواطنيه باللغة العربية الوحيدة في الميدان دون غيرها، وكانت عنده لغة الشعر والأدب والفلسفة، والتصوف والتدوين، فقد توسعت على يديه إلى أن صارت همزة وصل بينه وبين سائر الجهات التي يتعامل معها حيث سجل بها كل أعماله ومآثره الديوانية ورسائله الإخوانية مع الخلان والأصدقاء، كان الأمير نفسه يعتبر موسوعة علمية نادرة تمشي على الأرض فبالرغم من الظروف النضالية الصعبة التي عاشها في حياته من مهاجمة الأعداء له وتآمر الخونة أعوان العدو بين الجزائريين عليه، وخيانة الجيران وبعض الأصدقاء فإنه ظل ثابتا صابرا محتسبا أمره الله سبحانه وتعالى، وعند نفيه خارج وطنه لم يحجم عن فعل الخير وتقديم مساهماته لإخوانه العرب من ذلك أنه قد ساهم مساهمة فعالة في إزالة فتيل الفتنة بين الإخوان اللبنانيين في الحرب الأهلية التي وقعت بين المسلمين والمسيحيين في القرن التاسع عشر، إذ وقف موقفا مشرفا في بذل مساعيه الناجحة وتقديم خدماته لهم عملية وعينية، وبالتالي في التوصل إلى عقد الصلح بين الطرفين، وخلاصة القول فإن الأمير عبد القادر رحمه الله قد ساهم مساهمة مشهودة في تطوير اللغة العربية شعرا ونثرا وفلسفة وتصوفا وتاريخا وحكمة فجزاه الله عنها خيرا.

بعد هذه المقدمة التاريخية الوجيزة عن دور اللغة العربية في حياة الشعب الجزائري عبر الحقب التاريخية أعود إلى الموضوع المطروح للشرح وهو:

### 1. العربية في نصوص الثورة التحريرية:

فمن المعلوم إن لكل بناء أسسه وقواعده الخلفية القوية التي لا يقام ولا يستقيم إلا بها فعن طريقها وحدها دون غيرها يترسخ في الأرض ليمتد بعد ذلك في علو وشموخ وفي صلابة ومثانة كذلك شأن ثورة التحرير المظفرة فإن شروط قيامها يعتمد على قواعد أساسية مضبوطة فلا يمكن لها أن لا يشتد عودها وتتقوى إلا بها فهي مقوماتها ومقوياتها - ومنها:

1.1 أن ينهض بإشعال فتيلها مجاهدون مخلصون أوفياء أشداء على الكفار رحماء بينهم ولا يخافون في الله لومة لائم ووطنوا أنفسهم على التضحية والفداء وجعلوا من حبهم لوطنهم وعروبتهم وإسلامهم وأرواحهم شغلهم الشاغل في حياتهم ومقدم على حب أنفسهم ومن الطبيعي أن يتمتع هؤلاء بصحة جيدة ويتميزوا بقوة بدنية وجسمية وسلامة عقلية مع استعداد كلي لمنازلة الأعداء ومقارعتهم وانتظارهم للإتقضاض عليهم في أية لحظة من لحظات حياتهم.

2.1 أن يؤمن هؤلاء المجاهدون إيمانا قويا صادقا راسخا بالدفاع عن لغتهم العربية الأصيلة كدفاعهم عن وطنهم وشعبهم لأنها مفتاح العزة والكرامة.

وأنها مرشدهم في انجاز كل المهمات والعمليات التي تجد في كل خطوة ومرحلة من خطوات ومراحل حياتهم، فاللغة العربية بالنسبة إلى ثورة التحرير في الجزائر مطلب لا يقل أهمية ومنزلة عن الكفاح التحريري، فهي التي تنور عقولهم وأفكارهم وتشعرهم بعزة النفس وحيويتها، إذ لا يمكن للمجاهدين من أبناء جيش وجبهة التحرير أن ينالوا فوزهم وينتصروا على عدوهم الآثم البغيض في غياب الغيرة والحماس في الدفاع عن لغتهم ولغة وطنهم وإسلامهم حضارة أسلافهم، إذ لا قيمة ولا منزلة سامية عالية لأي جزائري إذا لم يعتن بلغة الوطن ويدافع عنها بكل قوة وبجميع الوسائل، فالشعب القوي المحترم المهاب العزيز الكريم ذلك الشعب الذي تعلقت همته بلغة وطنه وبأهدابها حريص باستمرار على توسيعها وترقيتها لأنها سوف تبقى الشاهد عليه في قوته أو ضعفه وتكون المقاس والمعيار الذي لا لبس فيه في تمييز هذا الشعب عن ذلك، وما هيمنة أمريكا على العالم ببعيدة عنا، إذ كيف استطاعت في ظرف قرنين من الزمن أن تسمو بلغتها وتفوز عن طريقها بكل السباقات العلمية والتقنية والفنية وتصبح بالتالي المهمين على العالم برمته، فلولا تعلق شعبها بلغته والتقاني في خدمتها ومحاولة تطويرها وتوسيعها باستمرار لما بلغت هذه المنزلة السامية الرفيعة ولما صارت كل أمم العالم تخاطب ودها وتخشاها وتحرص على التقرب منها لتفوز ببعض فتاتها مثل بعض الدول العربية الحقيرة الدليلة المباحة لغيرها مثل حكم المماليك، وانطلاقا من الشعور بالمسؤولية التاريخية الخطيرة من رجال الثورة التحريرية بالعمل على استعادة مجد اللغة العربية ووضعها في مكانتها التي افتقدتها ومنزلتها المحترمة المرموقة بين شعبها فانطلاقا من كل ذلك بدت ثورة التحرير المظفرة حريصة كل الحرص على اختيار سبيل مرن لتطورها وترقيتها وجعلها

صاحب المقام الأول في ميدان العمل حيث أن كل الوثائق وكل النصوص الثورية تكتب وتسجل وتدون بلسانها، ومن الجدير بالتأكيد والتركيز أن تورتنا التحريرية قد اختارت نظام المؤسسات والتسيير الجماعي، وعن طريق هذا النوع من التنظيم، قد تعددت مجالس التسيير وتتنوع أداء المهمات فيها، ولا يمكن لهذه المهمات وهذا النوع من المسؤولية لقيادة الثورة أن تؤتي ثمارها وتحقق غايتها إلا عن طريق اللغة العربية وبذلك تتبين لنا المهمة المتنوعة الثرية التي كانت تقوم اللغة العربية بها في تغطية كل هذه الأنشطة التنظيمية المحكمة الواسعة إذ بواسطتها تسجل المواجهات اليومية بين المجاهدين والفرنسيين ويحصى عدد المواطنين وتفيد المبالغ المالية اليومية من الإعانات والتبرعات وغيرها، والمصاريف التي تنفق على المجاهدين وعائلات الضحايا، وشراء المواد الغذائية الألبسة العسكرية وغيرها بالإضافة إلى التقارير السياسية والإعلامية السرية والعلنية والمراسلات المتداولة المحمولة بين رجال الثورة والشخصيات الجزائرية العامة من تجار وموظفين لدى الحكومة الفرنسية وكل ذلك يكتب باللغة الوطنية والقليل منها فقط يكتب باللغة الفرنسية كما كانت هناك مجالات من الوظائف الهامة التي لا يمكن لأية لغة أخرى غير اللغة العربية القيام بها، أو تحل محلها وأقصد بذلك أعمال اللجان الشرعية القضائية حيث إن ثورة التحرير المضفرة مثل ما ذكرت سابقا قد طبقت نظام المؤسسات الثورية على كل القيادات وفي كل المستويات، من ذلك اللجان الشرعية ووظيفة هذه اللجان تنكسر في الفصل بين قضايا المواطنين في الخلافات اليومية التي تقع بينهم حيث يتولى مسؤولو اللجنة الشرعية بمعونة أربعة من الأعضاء دراسة القضية ويتم ذلك باللغة العربية تم مواجهة المتخاصمين بالحكم في القضية بعد دراستها وتدوين في سجلات خاصة ترسل نسخة منها إلى الجهة العليا المسؤولة وهناك نوع آخر من القضاء يدخل في اختصاص اللجان الشرعية وهو الحكم على الخونة بالإعدام وبالبراءة حسب دراسة قضيتهم وإستيفاء كل شروطها أو بالنفي إلى جهات أخرى خارج دائرة سكنه وهذه اللجان الشرعية تتسلل في الدرجة والمسؤولية، فهناك لجان على مستوى القسامات، وهناك لجان على مستوى النواحي وهناك لجنة الدائرة التي تشرف على أعمال كل اللجان الشرعية الأخرى ويمكن لهذه الأخيرة أن تتدخل وتبطل الحكم المرفوع إليها من لجان النواحي أو القسامات وهناك لجنة شرعية على مستوى الولاية، وهكذا يتبين لنا أن الثورة لم تكن ثورة قتلة أو قطاع الطرق مثل ما تتصوره الدعاية الاحتلالية ولكنها ثورة تحريرية تقول فصلا وتحكم عدلا.

## 2. مساهمة المنظمات: الكشافة، اتحاد الطلبة، النقابة الأندية الرياضية لإحياء اللغة العربية في إطار جبهة التحرير.

القول بأن الكشافة الإسلامية التي كان لها في نشاطها الثوري دور في كتابة نصوصها في أعمالها باللغة العربية قول فيه نوع من المبالغة لأنها كانت تسيير في أغلب أعمالها باللغة الفرنسية فكل العمدة

والقادة ومسؤولو الفروع والأفواج إن لم يكونوا كلهم فأغلبهم كانوا من حملة اللغة الفرنسية وقد كانوا على ذلك قبل ثورة التحرير المضفرة أيام حركة انتصار الحريات الديمقراطية في العهد السياسي حيث كان روادها من امثال أحمد بن بلة ومحمد بلوزداد وأحمد محساس وبن مهدي والطاهر تيجيني وغيرهم وما يقال عن عدم استفادة اللغة العربية من خدمات هذه المنظمة يقال عن بعض المنظمات الأخرى ويستثنى من ذلك بعض أعضاء المنظمات عندما سافروا إلى الخارج ووضعوا أنفسهم تحت إشراف جبهة التحرير الوطني فأصبحوا ينشطون ضمن صفوفها مثل إتحاد العمال والكشافة والفرق الرياضية والفنية والفكرية فقد ساهموا جميعا مساهمة فعالة في بعض الشعوب العربية الاسلامية والشعوب الصديقة في التعريف بالثورة التحريرية وبمكانة اللغة العربية في هذه الدول وبالفعل فعن طريق تلك المنظمات قد تعرفت هذه الشعوب على الفن والفلكلور والرياضة الجزائرية لأول مرة في تاريخ هذه القضية وتعرف الجزائر التي كانت الجزائر الفرنسية لكن التسمية التي ألصقها الاستعمار بشعبنا قد أصبحت بعد جولات هذه الفرق تسمى بالجزائر العربية المسلمة ومع ذلك وحتى اليوم فإن نصيب اللغة العربية من خدمات تلك المنظمات ما تزال شحيحة جدا أما بالنسبة إلى مساهمة الطلبة الجزائريين في خدمة اللغة العربية فينبغي أن نميز بين نوعين من الطلبة فهناك نوع من الطلبة قد اختاروا التعليم باللغة الفرنسية فمن الطبيعي أن لا يكتبوا غيرها وهذا النوع من الطلبة لم يفد اللغة العربية في شيء ولم ينتظر منهم أن يخدموها أو يغيروا عليها. بل كانوا وما يزالون على عكس ذلك وعلى خلافه فقد كانوا سبب مأساتها وعلّة تهميشها وتقزيمها. وهناك نوع من الطلبة من الذين تتقنوا باللغتين إما العربية والفرنسية وإما العربية والانجليزية فهذا النوع من الطلبة قد استفادت منهم اللغة العربية نوعا من الفائدة وتوسعت على أيديهم وارتقت، وهناك من الطلبة من الذين تتقنوا باللغة العربية الصرفة إذ تعلموها في الجامعات العربية مثل جامعة القرويين في المغرب وجامع الزيتونة في تونس والجامعة المصرية والسورية والعراقية وكانوا جميعا تحت إشراف جبهة التحرير الوطني فإنهم بالفعل قد كانوا الباكورة الأولى في خدمة اللغة العربية وفي إرساء أسسها وقواعدها في الثورة وبعد الاستقلال فالبعض منهم التحق بالجال فأفاد اللغة العربية فائدة معتبرة والبعض الآخر قد ساهم في إنشاء الاتحاد الطلابي في الخارج فكانوا سفراء اللغة العربية تحت إشراف جبهة التحرير الوطني بواسطة النداءات والاجتماعات واللقاءات الدورية بشرح وإعلام الآخرين عن نشاط الثورة التحريرية - كنظام ثوري - وكقوة جبارة تقف الند للند ضد أكبر دولة استعمارية تعد القوة الرابعة في العالم آنذاك ومن هؤلاء أذكر أبو القاسم سعد الله - عبد الله الركبي - مسعد خليلي - محمد العربي ولد خليفة - عثمان سعدي - عبد القادر نور - وغيرهم فأصبحوا أساتذة في الجامعات الجزائرية ومنهم أيضا عمار طالبي وصالح خرفي - والهاشمي قدوري فكل هؤلاء من حماة وحملة القلم العربي الفصيح الصريح.

### 3. دور المحافظ السياسي: خطاب توعية وتعبئة في إعادة الاعتبار للغة الوطنية.

إن المحافظ السياسي وهو واحد من بين قادة ثورة التحرير المضفرة قد اسندت له مهمة مزدوجة في القيادة فهو يقوم بتوعية الشعب والمسؤولين عن جبهة التحرير الوطني وبالاجتماعات والندوات مع مسؤولي القاعدة الشعبية من جهة ويقوم بتنشيط وتوعية المجاهدين بدعوتهم إلى رباطة الجأش والصبر في مواجهة العدو والتخلي بالقوة والشجاعة من جهة أخرى كما يقوم المحافظ بمراقبة النشاط وبالتنسيق بين قيادة الجيش وقيادة جبهة التحرير الوطني، في إصدار التعليمات والقرارات الواردة أو الصادرة إلى القيادة العليا، وقد استطاع في ظل هذه المسؤولية الثورية الخطيرة أن يخدم اللغة العربية خدمة جلية معتبرة ويقويها فهو في كل نشاطاته ولقاءاته يسجل ويدون ويخطب باللغة الوطنية ويناقش غيره من المواطنين والمسؤولين وأفراد المجاهدين باللغة العربية المبسطة، وكان في كل يوم وأسبوع وشهر يرسل ويتلقى كل ما يجدر من أحداث وأنشطة - سواء حول المعارك والمواجهات التي تقع من حين لآخر بين القوات الفرنسية وجيش التحرير الوطني وما يسفر عنها من قتلى وضحايا في جانب المجاهدين أو الأعداء الفرنسيين، فالمحافظ السياسي هو العين الساهرة على نشاط الثورة لا تنام ولا يسودها السهو أو الغفلة أو التهاون في أداء المهام وهو في المنطقة والناحية أو القسمة - رجل المهمات الصعبة والمسؤوليات الخطيرة.

### 4. الإعلام باللغة العربية أثناء الثورة التحريرية

أما عن دور الإعلام باللغة العربية أثناء ثورة التحرير المضفرة فهذا النوع من الأسلحة لا يقل منزلة ولا قيمة ولا تأثيرا عن السلاح الحربي ، حيث لا يمكن لهذا الأخير أن يعطي للثورة البعد الحقيقي في الانتشار والتوسع والتأثير إذا لم تعني الثورة بالأول وهو الإعلام في الترويج للثورة ونشر دعايتها في الخارج وتقديم الحجج والبراهين لتزييف الدعاية والإعلام المقابل من العدو ولنا أمثلة كثيرة على ذلك حيث أن العدو الاستعماري عندما قامت ثورة التحرير قد ركز على وسائل الإعلام ونشر الدعاية على أن هذه الثورة هي عبارة عن مجموعة من قطاع الطرق جاءوا من المشرق العربي أو من الهند لا صلة لهم بالشعب وهو ما أدى إلى إقناع بعض الجزائريين ممن قد اختاروا أن يحلبوا في إناء العدو وبعض الدول الكبرى أو كل الدول إلا القليل منها، لكن الثورة التحريرية لم تترك وتستسلم لهذه الدعاية وتدع الاستعمار وصول ويجول في الميدان بل قامت بالإعلام المقابل ووزعت رجالها على العالم برمته ليبرهنوا بالحجج القاطعة والوسائل الإعلامية المختلفة من أن الشعب الجزائري هو صاحب الأرض وهو المحتل بالقوة وأن هذه الثورة التحريرية قد قامت من أجل إنصاف الحق وإزهاق الباطل وأن الشعب الذي يحارب العدو هو الشعب الجزائري وحده، ويدافع بوسائله الخاصة بلا مساعدة من أحد ولا معين، وهكذا قد اعتمدت الثورة

الجزائرية بجانب الدفاع بالسلح الحربي - الدفاع بالسلح الإعلامي وهذا الأخير هو الذي أجبر سفير فرنسا في الأمم المتحدة على الانسحاب عندما فرضت عليه رغم أنه القضية الجزائرية لتناقش في الأمم المتحدة وتكريم الجزائر لهذا النوع من السلح تجلى عندما تشكلت الحكومة المؤقتة قد عينت وزيرين، أحدهما للقوات المسلحة والأخر للإعلام.

##### 5. العربية في الإبداع الفني والأدبي والدراسات التي عرفت بالثورة وتضحيات الشعب الجزائري

فالثورة التحريرية الجزائرية الكبرى لم تكن ثورة سلاح ودفاع ومواجهة ومنازلة العدو الاحتلالي ولكنها بجانب ذلك قد فجرت طاقات واشعلت في النفوس حرارات من الفنانين والرسامين والسينمائيين والشعراء والأدباء فقد استطاع هؤلاء الرجال جميعا أن ينسجوا نسيجا مزخرفا ملونا بألوانه العربية الفصيحة الأصيلة ويعطوا لها عمقا يحفر في النفوس ويهز العواطف وهم يتفاوتون في فنونهم الأدبية والشعرية والتاريخية، فهناك من أعطى للثورة الجزائرية قصائد من النوع الرصين من أمثال الشاعر السوري سليمان العيسى ومفدي زكرياء ومحمد العيد آل خليفة وصالح خرفي - والشيخ عبد الرحمن بلعقون والشيخ محمد الصالح رمضان وغيرهم وهناك من صورها الصور الأدبية الرائعة الحية مثل الدكتور أبو العيد دودو وأبو القاسم خمار شعرا ونثرا وهم كثيرون جدا ومنهم صديقنا الدكتور محمد العربي ولد خليفة ومنهم المؤرخون من أمثال الشيخ توفيق المدني - أبو القاسم سعد الله ومنهم الأدباء من أمثال عبد الله الركبي وغيرهم ومنهم السينمائيين وفي مقدمتهم شندرلي، عبد الحليم رايس وعمار العسكري ومنهم الفنانون من أمثال أحمد وهبي - وخليفي أحمد، وسيد علي كويرات وبو العنين، وردة الجزائرية، الهادي رجب، فريد علي وغيرهم وكانت هذه الفنون قد حركت الرأي العام وأدرك عن طريق الكتب الأدبية المكتوبة والمسرحيات والتمثيل أن الشعب الجزائري له طاقات مختلفة من كل ألوان الفنون والعلوم وخالصة ما يمكن ان نختم به هذا الموضوع هو أن العربية رغم المراحل التي قطعتها في ثورة التحرير فإن أعدائها المتربصين بها مازالوا في مراكز القوى يكيدون لها محاولين باستمرار تهيمشها وتقزيمها ولكنها سوف تنتصر على خصومها مثلما انتصرت ثورة التحرير المظفرة.